العصر بل قد «نهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس»[1]

«قالت أم سلمة سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنهما، ثم رأيته يصليهما. أما حين صلاهما فإنه صلى العصر، ثم دخل وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار، فصلاهما.

فأرسلت إليه الجارية فقلت: قومي بجنبه فقولي له: تقول أم سلمة يا رسول الله: إني أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين، وأراك تصليهما!! فإن أشار بيده فاستأخري عنه.

ففعلت الجارية، فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر، إنه أتاني ناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم، فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان»[2]

انصرف وفد عبد القيس ليبني مسجداً في البحرين، وليكون هذا الوفد قد حقق سبقاً قال عنه ابن عباس «إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس، بجواثي من البحرين»[3]

وجاءت وفود أخرى، ولم يكن متوقعاً من كل تلك الوفود أن تكون على مستوى واحد من حسن التعامل والثقافة، فهي وفود ضاربة الجذور في الجاهلية، كما أن تلك الوفود لم تكن تمثل قبائلها إلا رسمياً، لكنها لا تمثل أخلاقيات وسلوك كل فرد فيها، فعند:

قدوم وفد تميم ووفد من اليمن

كان هناك تنافس بين سيدي كهول أهل الجنة حول من يتكلم من بني تميم أولاً فقد «قدم ركب من بين تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد. وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلى أو إلا خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافك. فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) صحيح البخاري ١-٢١٢.

(٢) صحيح مسلم ١-٥٧١.

(٣) صحيح البخاري ١-٣٠٤.

﴿ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ حتى انقضت الآية»[1]

وكان لخلاف الشيخين العظيمين ورفع أصواتهما عقوبة آنية،عندما خيب المحتفى بهما آمال الشيخين. أحد المحتفى بهما يقول عن نفسه « إنه أتى النبي ﷺ فناداه [فلم يجبه] فقال: يا محمد إن مدحي زين، وإن شتمي شين. فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ويلك ذلك الله فأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ [أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾]»[2]

لكن هذا الرجل الذي غلبته أعرابيته تمادى ليفخر على من سبقه بالبيعة فقال: «إنما بايعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة.. وجهينة بن أبي يعقوب»[3] فكان رد النبي ﷺ عليه قاسياً جداً. ثم التفت عليه السلام إلى من جاء معه من قومه مبشراً فقال: «اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا: قد بشرتنا فأعطنا مرتين.

ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض

يقول راوي القصة واسمه ابن الحصين: فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين. فانطلقت، فإذا هي يقطع دونها السراب فوالله لوددت أني كنت تركتها»[4]

وبعد أن عاد الأقرع ومن معه إلى ديارهم.. بشر النبي ﷺ أمته بخروج جيل من

---

(١) صحيح البخاري ٤-١٨٣٤ وقد أكملت الآية للفائدة.

(٢) سنده صحيح روه الطبري في التفسير ٢٦-١٢٢ والزيادة لأحمد ٣-٤٨٨ من رواية عفان ثنا وهيب ثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة ثنا الأقرع بن حابس التميمي.

(٣) صحيح البخاري ٣-١٢٩٤.

(٤) صحيح البخاري ٣-١١٦٦ وابن الحصين هو راوي الحدث وكان حاضراً.

أصلاب هؤلاء الأجلاف يعز الله بهم الإسلام، كما تنبأ لثقيف من قبل بذلك، فقال عليه السلام: «هم أشد أمتي على الدجال»[1] بل أحبهم، فأحبتهم عائشة وروت سر حبها لتميم عندما قالت: «لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: هم أشد أمتي على الدجال. وكانت منهم سبية عند عائشة فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل. وجاءت صدقاتهم فقال: هذه صدقات قوم، أو قومي»[2]

أما أهل اليمن الذين قبلوا البشرى فالمدينة تستقبل كل فترة وافداً منهم.. فمن أرض اليمن انطلق رجل يقال له جرير بن عبد الله البجلي نحو المدينة، ولما وصلها غير ملابسه ودخلها، وعندما دخلها وجد النبي ﷺ يخطب في أصحابه، ولكن أصحابه كانوا لا ينظرون إلى نبيهم، بل ينظرون إلى جرير وهو يمشي نحوهم.

كل الصحابة كانوا يحدقون بوافد اليمن

لماذا..؟ أوليس من هدي الصحابة الإنصات للنبي عليه السلام؟ بلى، ولكن لدى جرير ما يثير، ولديه ما يخبرنا عنه فيقول رضي الله عنه: «لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي، ثم حللت عيبتي، ثم لبست حلتي، ثم دخلت فإذا رسول الله ﷺ يخطب، فرماني الناس بالحدق فقلت لجليسي: يا عبد الله ذكرني رسول الله ﷺ؟

قال: نعم ذكرك آنفاً بأحسن ذكر، فبينا هو يخطب إذ عرض له في خطبته، وقال: يدخل عليكم من هذا الباب، أو من هذا الفج من خير ذي يمن، ألا إن على وجهه مسحة ملك.

قال جرير: فحمدت الله عز وجل على ما أبلاني»[3]

وبعد أن التقى جرير بالنبي ﷺ وجده كالنسمة الباردة لهجيره.. كالماء البارد لعطشه. يقول رضي الله عنه: «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي»[4]

---

(١) صحيح البخاري ٢-٨٩٨.

(٢) صحيح البخاري٤- ١٥٨٧.

(٣) سنده قوي رواه أحمد ٤-٣٥٩ وغيره من طريق يونس بن أبي إسحاق ثنا المغيرة بن شبل الأحمسي سمعت جرير... المغيرة ثقة: التقريب ٥٤٣ وتلميذه صدوق التقريب ٦١٣.

(٤) صحيح البخاري ٥-٢٢٦٠.

هذا هو سلوك النبي ﷺ مع الصحابة، فليبحث المتجهمون عن قدوة غيره ليبرروا تجهمهم وضيقهم بالناس وبأنفسهم. أما عبارات بيعة جرير فتغير أعماق الأرض وأعماق البشر.

يقول رضي الله عنه: «بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[1] و«على السمع والطاعة فلقنني: فيما استطعت. والنصح لكل مسلم»[2]

وجاء وافد آخر من أهل اليمن، وزعيم من زعمائهم، بل ورجل سبق الأنصار في دعوة النبي ﷺ للهجرة، لكنه لم يكن واثقاً من ردة فعل قومه إزاء قراره استقبال هذا النبي المضطهد، وعند قدومه اصطحب معه رجلا كاد يفقد يديه.

«الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة - حصن كان لدوس في الجاهلية؟

قال ﷺ: [أمعك من وراءك؟ قال: لا أدري]

فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة، فمرض فجزع فأخذ مشاقص له فقطع بها براجمه، فشخبت يداه حتى مات. فرآه الطفيل بن عمرو في منامه فرآه وهيئته حسنة، ورآه مغطياً يديه. فقال له: ما صنع بك ربك؟

فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ. فقال: ما لي أراك مغطياً يديك؟ قال: قيل لي لن نصلح منك ما أفسدت. فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: اللهم وليديه فاغفر»[3]

ثم شكا الطفيل رضي الله عنه ومن معه تأخر إسلام قومهم وعصيانهم، فقالوا: «يا رسول الله إن دوساً عصت وأبت فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. قال: اللهم اهد دوسا وأت بهم»[4]

وعاد أبو موسى الأشعري إلى اليمن ليأتي بقومه فقال ﷺ: و

(١) صحيح مسلم ١-٧٥ والزيادة من صحيح ابن حبان ٧-٢٨٧ وهي صحيحة السند.
(٢) صحيح مسلم ١-٧٥ والزيادة من صحيح ابن حبان ٧-٢٨٧ وهي صحيحة السند.
(٣) صحيح مسلم ١-١٠٨.
(٤) صحيح البخاري ٣-١٠٧٣.

الأشعريون في طريقهم إلى المدينة

«يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً. فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولونَ:

غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه»[1]

النبي يثني على أهل اليمن

فيقول: «أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية، رأس الكفر قبل المشرق»[2] «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم»[3] والذي يبدو من سياق الأحاديث، أن سر الوهج اليماني وعلو منزلتهم يكمن في تواضعهم، وابتعادهم عن مظاهر الفخر والسلوك الجاهلي القائم على الاعتداد بالنفس وازدراء الآخرين، فالنبي ﷺ يقول: «أهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره.. وأهل النار كل جواظ عتل مستكبر»[4]

وإذا كانت القلوب اليمنية بهذه الرقة والصفاء، فلا بد أن يوازيها صفاء على أرض اليمن نفسها، فهي مازالت تئن تحت أكوام من ركام الجاهلية وأوثانها وأصنامها، بل لقد بنى المشركون هناك كعبة لهم. فمن المرشح لـ:

هدم كعبة اليمانية

لم يجد النبي ﷺ أنسب من صاحب المسحة الملائكية (جرير بن عبد الله) لكن جريراً كان يفقد توازنه عند ركوبه الخيل، ويتمنى لو يثبت على ظهرها.. لاسيما وهو يقول: «رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرس بإصبعه، وهو يقول: الخيل معقود

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٣-١٠٥ وابن حبان ١٦-١٦٤ من طريق ابن أبي عدي ويزيد ابن هارون عن حميد عن أنس.. فميد الطويل تابعي ثقة سمع من أنس: التقريب ١٨١.

(٢) صحيح مسلم ١-٧٣.

(٣) صحيح البخاري ٤-١٥٩٤.

(٤) صحيح البخاري ٦-٢٤٥٢.

بنواصيهـــا الخير إلى يوم القيامة، الأجر والغنيمة»[1] ثم يواصل جرير حديثه قائلا أن النبـــي ﷺ قال لـــه: «يا جرير، ألا تريحني من ذي الخلصـــة؟ (بيت لخثعم) كان يدعى كعبة اليمانية.

فنفرت في خمسين ومائة فارس، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضرب يده في صدري فقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً. فانطلق فحرقها بالنار.

ثم بعث جرير إلى رســـول الله ﷺ رجلاً يبشـــره، يكنى أبا أرطأة منا. فأتى رسول الله ﷺ فقال له: ما جئتك حتى تركناها كأنها جمل أجرب. فبرَّك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات»[2] أي دعا لهم بالبركة.

أما اليمن فقد أصبحت أكثر استعداداً لتقبل الدعاة والأمراء إلى هذا الدين الجديد.. بعد تلـــك الإرهاصات، وبعد انتشـــار التوحيد على أرضها. فمن ســـيبعث ﷺ إلى اليمن للتعليم؟ ومن سيعين أميراً عليها؟ لاسيما وأن هناك اثنين تقدما بطلب تلك الوظيفة

قصة الرجلين اللذين طلبا إمارة اليمن

هما رجلان من أهل اليمن.. قدما إلى المدينة بصحبة أبي موســـى الأشعري دون أن يشعر أبو موسى بما يضمران في نفسيهما، ولما وقفا أمام النبي ﷺ قدما طلبيهما، فماذا كانت إجابة النبي ﷺ على من يطلب الإمارة؟

أبو موســـى حضر تلـــك المحادثة وروى تلك القصة فقـــال: «أقبلت إلى النبي ﷺ ومعي رجلان [من بني عمي] من الأشـــعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، فكلاهما ســـأل العمل، والنبي ﷺ يستاك. فقال: ما تقول يا أبا موسى، أو يا عبد الله بن قيس؟

فقلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفســـهما، وما شـــعرت أنهما يطلبان العمل، وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته وقد قلصت، فقال: لن، أو لا نستعمل

---

(١) صحيح مسلم ٣-١٤٩٣.

(٢) صحيح مسلم ٤-١٩٢٦.

على عملنا من أراده [ولا أحداً حرص عليه]، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس. فبعثه على اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل»[1] وكان في تعليماته عليه السلام لمعاذ منهجاً لمن بعده في التأني والتدرج في الدعوة، حتى وإن كان الداعية أميراً أو قائداً، فالعقول والقلوب لاتشرع أبوابها إلا للجميل والمقتع. لذا «قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة.

فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم.

فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[2]

تعاليم تحلق في سماء التحضر.. تبدأ بنظافة العقول والقلوب من الخرافة والوثنية، وبإخضاع كل شيء لمن يستحق الخضوع والعبودية، ثم تمر ببيوت المعوزين لتملأها بالغنى والفرح، وأخيراً والأهم نظافة يد الأمير.. (إياك وكرائم أموالهم) فمتى ما كانت يد الأمير نظيفة من نهب أموال رعيته فإنها تمتلىء بقلوبهم، وأخيرا.. نظافة سجله من الظلم، وإلا فإن دعوة المظلوم بالمرصاد.

أنصت معاذ لتلك التعليمات النبوية، وبدأ التحليق نحو آفاقها و«لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ فقال رجل من القوم: لقد قرت عين أم إبراهيم»[3]

وبعد أن «بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وبعث كل واحد منهما على مخلاف -واليمن مخلافان- ثم قال: يَسِّرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا،

---

(١) صحيح مسلم ٣-١٤٥٦ والزوائد له أيضاً.

(٢) صحيح البخاري ٤-١٥٨٠.

(٣) صحيح البخاري ٤-١٥٨٠.

[وتطاوعا. فقال أبو موسى: يا نبي الله إن أرضنا بها شراب من الشعير المزر، وشراب من العسل البتع؟ فقال: كل مسكر حرام.

فانطلقا فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن؟ قال قائماً وقاعداً وعلى راحلتي، وأتفوقه تفوقاً[1] قال: أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي[2]، وضرب فسطاطاً، فجعلا يتزاوران]، فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه، وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً، فسلم عليه، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس، وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس أيم هذا[3]؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه. قال: لا أنزل حتى يقتل. قال: إنما جيء به لذلك، فانزل. قال: ما أنزل حتى يقتل. فأمر به فقتل، ثم نزل»[4].

لقد أمرهما بالتيسير، ولكن لا يعني قول النبي ﷺ: يسرا وبشرا أن يتخليا عن تنفيذ الحدود الموحى بها، لأن التيسير مساحة لا نهاية لها، أما تطبيق الحدود فهو وإن كان في مخالفات قليلة بعدد أصابع اليد الواحدة، إلا أن هذه الحدود تحفظ أساسات الحياة الخمس: العرض، والمال، والدم، والعقل، والدين.

فإذا تم العبث بهذه الأشياء، وانعدمت حمايتها.. تحول العالم إلى بقعة شرسة.. بقعة أشرس وأسوأ مما يحدث في الغابة الحيوانية، فما يجري في الغاب هو صراع من أجل البقاء لا أكثر، أما على الأرض فسيتحول الصراع إلى هدف لإفناء الآخر وسحقه، فإذا غابت الحدود يوماً عن الأرض، فستغيب أشياء كثيرة وجميلة.. أولها التسامح وآخرها الإنسان، وما وصل الإسلام إلى اليمن إلا من أجل الإنسان.

هكذا جرت الأحداث في اليمن، أما في المدينة فقد كانت ساحة احتفالات وحفاوة.. الوفود تسيل إليها ومنها في الوقت الذي قرر النبي ﷺ إرسال أكبر بعث لا

---

(١) أي أقرأه ليلا ونهاراً، ولكن ليس دفعة واحدة.

(٢) أي أرجو من الله أن يثيبني على نومي، كما يثيبني وأنا مستيقظ.

(٣) إيش هذا أو ما هذا؟

(٤) صحيح البخاري ٤-١٥٧٨ والزيادة له ٤-١٥٧٩.

للغزو، بل إلى مكة.. لأداء الحج، وقد اختار لإمارة المسلمين والعرب جميعهم في هذا البعث صاحبه أبا بكر الصديق وقد سميت هذه الحجة:

حجة أبي بكر رضي الله عنه

وقبل أن ينطلق رضي الله عنه.. أمره النبي ﷺ بإعلان بيانين نبوين خلال مواسم الحج القادمة.. تحمل توحيداً نقياً يقطع آخر الطرق بين الشرك والأجيال الجديدة المفعمة بالفطرة:

الأول: منع أي مشرك يعلن شركه من الحج بعد هذا العام.

الثاني: منع التعري داخل البيت الحرام.. خاصة أثناء الطواف، وهي من عادات الشرك البالية المتخلفة.

يقول أبو هريرة: «بعثني أبو بكر الصديق، في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع، في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»[1] وهذا يعني أن أبا بكر حج بالمسلمين وبالعرب كافة مسلمهم ومشركهم، أما في المدينة فقد نزلت سورة براءة على النبي ﷺ، وقد أمر جبريل النبي ﷺ بإعلانها بنفسه على الحجاج، أو أن يكلف رجلاً من أهل بيته بذلك، فأمر علياً رضي الله عنه أن يحملها إلى مكة، وأن يعلنها بنفسه على أولئك الحجاج، مما خلق تساؤلاً لدى أبي بكر الصديق بصفته أميراً على الحجاج كافة، وأميراً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يكن يعلم وقتها أن علياً كان مكلفاً فقط بإعلان (براءة) مع بقائه تحت إمرة أبي بكر رضي الله عنهما.

يقول أبو هريرة:« فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»[2]

أحد الصحابة يقص ما حدث بتفصيل أكثر فيقول: «بعث النبي ﷺ أبا بكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات، ثم أتبعه علياً، فبينا أبو بكر في بعض الطريق، إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ القصواء، فخرج أبو بكر فزعاً، فظن أنه رسول الله ﷺ، فإذا هو

---

(١) صحيح مسلم ٢-٩٨٢.

(٢) صحيح البخاري ٤-١٧٠٩.

علي، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ، وأمر علياً أن ينادي بهؤلاء الكلمات، فانطلقا فحجا، فقام علي أيام التشريق فنادى: ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، ولا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن. وكان علي ينادي، فإذا عيي قام أبو بكر فنادى بها»[1]

ولما سئل علي: «بأي شيء بعثت؟ قال: بأربع، أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم ومشرك بعد عامهم هذا في الحج، ومن كان له عهد، فعهده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأربعة أشهر»[2] وبذلك تم تحرير مكة من كل علاقة بالشرك والمشركين، وقطعت كل صلة لها بالخرافة والوثنية.

أتم الجميع مناسك حجهم وعلمت الأمة مكانة أبي بكر الصديق.. الذي استخلفه رسول ﷺ وهو حي في قيادة الأمة وأمارتها لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام.. أدرك الجميع ذلك وهم يعودون إلى ديارهم، وتوجه أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة، وعند وصوله سلم على النبي ﷺ، وسأله عن ذلك الأمر الذي أقلقه «فلما رجع أبو بكر قال: هل نزل في شيء؟ قال: لا ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي»[3]

ولم يكن في الأمر سوى تكريم لعلي على بقية أهل البيت، وتكريم أبي بكر على الأمة كلها، فقد خصه بقيادة المسلمين كافة إلى الحج، ولو كان في الأمر مساس بأبي بكر، وإمارة أبي بكر لعزله النبي ﷺ من الأمارة، وسلمها لأحد الصحابة، لكن الأمر غير ذلك، فقد بقي علي وغيره رضي الله عنهم تحت إمرة أبي بكر رضي الله عنه طوال مدة الحج.

---

(١) سنده قوي، رواه الترمذي ٥-٢٧٥ وغيره عن عباد بن العوام حدثنا سفيان بن حسين عن الحكم ابن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس، وله شاهد على شرط مسلم عند النسائي في الكبرى ٢-٤١٦ والدارمي ٢-٩٢ وغيرهما من طريق موسى بن طارق عن ابن جريج حدثني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر.

(٢) سنده صحيح رواه سعيد ابن منصور ٥-٢٣٣ واللفظ له من طرق عن سفيان عن أبي إسحاق الهمداني عن زيد بن يثيع قال سألنا علياً.. انظر ما بعده.

(٣) سنده صحيح تفسير الطبري ١٠-٦٤ وأحمد ١-٣ من طريق يونس بن أبي إسحاق وإسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع قال الدارقطني في العلل ١-٢٧٤ بعد أن ذكر طرق الحديث: وقال ابن عيينة عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع قال سألنا علي بن أبي طالب بأي شيء بعثني النبي ﷺ بأربع وقول بن عيينة أشبه بالصواب والله أعلم وكذلك قال أبو بكر بن عياش وأبو شيبة إبراهيم بن عثمان عن أبي إسحاق.

وخـــلال تلك الأيام.. لم تنقطع الوفود عن القـــدوم إلى المدينة لمبايعة النبي ﷺ.. كانوا يتدفقون موجات من الحب والشوق نحو المدينة، فهذا وفد لم يمنعه الفقر والعوز من الرحيل إلى المدينة:

وفد مزينة

يقـــول أحدهم وهو النعمان بن مقرن رضي الله عنه «قدمنا على رســـول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة، فأمرنا رســـول الله ﷺ بأمره فقال بعض القوم: يا رسول الله ما لنا طعام نتزوده؟

فقال النبي ﷺ لعمر: زودهم. فقال ما عندي إلا فاضلة من تمر، وما أراها تغني عنهم شيئاً. فقال: انطلق فزودهم.

فانطلـــق بنا إلى علية له، فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق، فقال: خذوا. فأخذ القوم حاجتهم. وكنت أنا في آخر القوم، فالتفت وما أفقد موضع تمرة، وقد احتمل منه أربعمائة رجل»[1] ثم عادوا إلى بلادهم مزودين بالتمر والإيمان ومشاهدة المعجزات، وجاء:

وفد بني أسد

وتميز هذا الوفد بلغة بليغة، لكن بعضهم أفســـدها ببعض الفخر والمنة، في وقت لا مكان فيه للفخر ولا للمنة.. لاســـيما وهم قد قدموا لتقديم الولاء والبيعة والطاعة. «ابن عباس قال: قدم على النبي ﷺ وفد بني أســـد فتكلموا فأبانوا فقالوا: يا رســـول الله قاتلتك مضر كلها ولم نقاتلك، ولسنا بأقلهم عدداً، ولا أكلهم شوكة، وصلنا رحمك. فقال رســـول الله ﷺ لأبي بكر وعمر حيث ســـمع كلامهم: (أفتقولان هكذا؟ قالا: لا) قال: إن فقههم لقليل وإن الشيطان لينطق على لسانهم»[2]

أما الوفد القادم فكانت تحملهم الذكريات وتنطق المشاعر على لسانهم إنهم:

---

(١) ســـنده صحيح رواه أحمد ٥-٤٤٥ ثنا عبد الصمد ثنا حرب يعني بن شـــداد ثنا حصين عن ســـالم بن أبي الجعد عن النعمان بن مقرن وســـالم تابعي ثقة ســـمع من النعمان هذا الحديث كما في التدوين في أخبار قزوين ١-٨٢ وحصين الســـلمي تابعي صغير وثقة من رجال الشيخين التقريب ١-١٨٢ وتلميذه حرب ثقة أيضاً وكذلك عبد الصم بن عبد الوارث.

(٢) ســـنده صحيح رواه النســـائي في الكبرى ٦-٤٦٧ أبو يعلى ٤-٢٥٠ حدثنا ســـعيد بن يحيى بن سعيد الأموي حدثنا أبي حدثنا محمد بن قيس الأسدي عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: محمد أبو عون تابعي ثقة وتلميذه ثقة: التقريب ٤٩٥ و٥٣٠ ويحيى صدوق وابنه ثقة وهما من رجالهما.

وأحدهـــم يحمل ذكريـــات أليمة عن مكة، وعن بدايات الدعـــوة في مكة المكرمة، واســـمه طارق بن عبد الله المحاربي حيث يقول رضي الله عنه: «رأيت رســـول الله ﷺ مر بســـوق ذي المجاز وأنا في بياعة لي، فمر وعليه حلة حمراء فســـمعته يقول: يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا.

ورجـــل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبه، وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوا هذا فإنه كذاب.

فقلت: من هذا؟ فقيل: غلام من بني عبد المطلب. فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الربذة ومعنا ظعينة لنا، حتى نزلنا قريباً من المدينة، فبينا نحن قعوداً إذ أتانا رجل عليه ثوبان، فسلم علينا.

فقال: من أين القوم؟ فقلنا: من الربذة، ومعنا جمل أحمر فقال: تبيعوني هذا الجمل؟ فقلنا: نعم. فقال: بكم؟ فقلنا: بكذا وكذا صاعاً من تمر. قال: أخذته وما استقصي.

فأخـــذ بخطـــام الجمل فذهب به حتى تـــوارى في حيطان المدينـــة، فقال بعضنا لبعـــض: تعرفون الرجـــل؟ فلم يكن من أحد يعرفه، فلام القـــوم بعضهم بعضاً فقالوا: تعطـــون جملكم من لا تعرفون!! فقالت الظعينة: فلا تلاوموا، فلقد رأينا رجلاً لا يغدر بكم، ما رأيت شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه.

فلما كان العشـــي أتانا رجل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أأنتم الذين جئتم من الربذة؟ قلنا: نعم.

قال: أنا رســـول رســـول الله ﷺ إليكم، وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا، وتكتالوا حتى تستوفوا.

فأكلنا من التمر حتى شـــبعنا، واكتلنا حتى اســـتوفينا، ثم قدمنا المدينة من الغد، فإذا رســـول الله ﷺ قائم يخطب الناس على المنبر، فســـمعته يقول: يد المعطي العليا، وابدأ بمـــن تعول: أمك وأباك، وأختك وأخاك، وأدناك أدنـــاك، وثَمَّ رجل من الأنصار

فقال: يا رسول الله، هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلاناً في الجاهلية، فخذ لنا بثأرنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه حتى رأيت بياض إبطيه فقال: لا تجني أمّ على ولد، لا تجني أمّ على ولد»[1]

إذا كان طارق المحاربي مسافر تحمله الذكريات إلى حيث النبي عليه السلام، فإن هذا المسافر يجعل الذكريات تحمل النبي ﷺ إلى عالم الطفولة.. حيث مضارب بني سعد وحيث الغنيمات وإخوته الصغار وأمه حليمة السعدية إنه:

أفضل وافد: ضمام بن ثعلبة من هوازن

أما لماذا صار هذا الأعرابي أفضل وافد على النبي ﷺ، فله قصة يرويها أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم. فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟

فقال له النبي ﷺ: قد أجبتك. فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك.

فقال: سل عما بدا لك.

فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم.

قال أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؛ قال: اللهم نعم.

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم.

قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: اللهم نعم.

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا (ضمام بن ثعلبة) أخو بني سعد بن بكر»[2] «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله،

---

(١) سنده صحيح ابن حبان ١٤-٥١٨ وغيره من طرق عن يزيد بن زياد ابن أبي الجعد عن جامع بن شداد عن طارق: وجامع تابعي ثقة وتلميذه ثقة أيضاً: التقريب ١٣٧ و٦٠١.

(٢) صحيح البخاري ١-٣٥.

وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف إلى بعيره راجعاً.

فقال رسول الله ﷺ: إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة.

فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى. قالوا: مه يا ضمام، اتق البرص اتق الجنون. قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه....

فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوافد قدم كان أفضل من ضمام ابن ثعلبة»[1]

كانت الوفود تأتي وتذهب، وكانت الأمراء تذهبو وتأتي.. هاهو:

النبي ﷺ يرسل خالداً إلى اليمن

يرسله أميراً وداعية لأرض الإيمان والحكمة، وبعد فترة بعث إليه علي بن أبي طالب كي يخلفه، ويقبض منه خمس الغنائم التي كانت تحت إدارة سيف الله..

يقول أحد الصحابة وهو البراء: «بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه، فقال: مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل. فكنت فيمن عقب معه، فغنمت أواقي ذوات عدد»[2]

وقد حدثت خلال تلك الفترة الانتقالية بعض القصص، مثل هذه القصة التي أضافت لعلي رضي الله عنه الجديد من الفضائل.

---

(١) سنده قوي رواه ابن إسحاق السيرة ٥-٢٦٧ حدثني محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب عن ابن عباس وابن الوليد قال عنه الدارقطني يعتبر به وتابعه سلمة بن كهيل عند أبي داود ١-١٣٢ وغيره وسلمة وكريب تابعيان ثقتان من رجالهما: التقريب ٤٦١.

(٢) صحيح البخاري ٤-١٥٨٠.

يقول «بريدة رضي الله عنه: بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد ليقبض الخمس، وكنت أبغض علياً وقد اغتسل. فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟ فلما قدمنا على النبي ﷺ ذكرت ذلك له.

فقال: يا بريدة، أتبغض علياً؟ فقلت: نعم. قال: لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك»[1] ويقصد النبي ﷺ تلك الجارية التي اغتسل علي من أجلها بعد أن أخذها من الخمس، فغضب بريدة من صنعه واستكثرها عليه أما علي رضي الله عنه فقد استلم مهمته الجديدة وبدأ بإدارة الأمور بكفاءة، وحصل المسلمون على بعض الغنائم فأرسل علي منها للنبي ﷺ، فقسمها بين بعض أصحابه وحضر تلك القسمة متطرف من:

جذور الخوارج

يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل.

فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء.

فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً.

فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة كث اللحية، محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يا رسول الله اتق الله.

قال: ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؛ ثم ولى الرجل. قال خالد ابن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟

قال: لا، لعله أن يكون يصلي.

فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه؟

---

(١) صحيح البخاري ٤-١٥٨١.

قال رسول الله ﷺ: إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس، ولا أشق بطونهم.

ثـم نظـر إليه وهو مقف فقال: إنه يخرج من ضئضئ هـذا، قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[1]

فقتال هؤلاء الخوارج من واجبات إمام المسـلمين حتى تنكسـر شـوكتهم، وينعدم تأثيرهم على أمن دولة الإسلام، فبعد كسر شوكتهم يتحولون إلى مجرد أفكار متطرفة.. تعرض على الكتاب والسنة، لكنها لا تعرض على السيف إلا في حالة تحولها إلى سرايا أو قوة تتحرك على وجه الأرض، لشـق جماعة المسلمين وزعزعة أمنهم وأمن دولتهم. وهـذا ما فعله النبي ﷺ وخطه لأمته، فهو لم يكفره، ولم يقتله، بل ولم يمسـه بأذى، لأنه لا يمثل تهديداً في ظل توجه الدولة بكليتها بكتاب الله وسـنة رسـوله.. إنما بين انحرافه وانحراف أمثاله، وهذا الصنف من المسلمين قد لا ينقصهم الإخلاص وحسن النية، لكنهما لا يكفيان لتبرير أقوالهم وأفعالهم المتطرفة.

وإذا كان علي أرسـل للنبي ﷺ بذهب (تبر) من اليمن، فإن أحد الصحابة الذين رافقـوا علياً إلـى اليمن لم يبعث هديـة لزوجته بل بعث لها بطلقتهـا الثالثة قبل أن يستشهد رضي الله عنه هناك.

وأثناء تأيمها حدثت بعض المشـاكل حول حقهـا في الحصول على مصروفها من دخل زوجهـا الذي طلقها، وهل للمطلقة ثلاث طلقات حـق في الحصول على النفقة والسكن من مال زوجها المتوفى أم لا؟

«فاطمة بنت قيس تقول: أرسل إليَّ زوجي (أبو عمرو بن حفص بن المغيرة) عياش بن أبي ربيعة بطلاقي، وأرسـل معه بخمسة آصع تمر وخمسة آصع شعير. فقلت: أما لي نفقة إلا هذا ولا أعتد في منزلكم؟ قال: لا.

فشـددت عليّ ثيابي، وأتيت رسـول الله ﷺ فقال: كم طلقـك؟ قلت: ثلاثاً قال: صدق، ليس لك نفقة [فانطلق خالد بن الوليد في نفر فأتوا رسـول الله ﷺ في بيت

(١) البخاري ٤-١٥٨١.

ميمونة فقالوا: إن أبا حفص طلق امرأته ثلاثاً فهل لها من نفقة؟ فقال رسول الله ﷺ: ليســت لها نفقة وعليها العدة. وأرســل إليها أن لا تسبقيني بنفسك، وأمرها أن تنتقل إلى أم شريك.

ثم أرســل إليها أن أم شريك يأتيها المهاجرون الأولون، فانطلقي إلى ابن أم مكتوم الأعمــى فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك] .. اعتدي في بيت ابن عمك ابن أم مكتوم، فإنه ضرير البصر تلقي ثوبك عنده، فإذا انقضت عدتك فآذنيني»[1]

وبعــد ان انتهت عدتها كثر حولها الخطاب، فكان في فترة الخطوبة درس للمؤمنين بهذا النبي وتعاليمه، وتحطيمه لأصنام العادات والتقاليد، حيث قال لها «رسول الله ﷺ: إذا حللت فآذنيني. فآذنته فخطبها معاوية، وأبو جهم، وأسامة بن زيد. فقال رسول الله ﷺ: أما معاوية فرجل ترب لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء. ولكن أسامة بن زيد.

فقالت بيدها هكذا: أسامة.. أسامة. فقال لها رسول الله ﷺ: طاعة الله وطاعة رسوله خير لك قالت: فتزوجته فاغتبطت»[2]

إن زواج هذه السليلة الجميلة بهذا الشاب الأسود العظيم يحمل من الرقي وانتفاء العنصريــة والكبر والجاهلية ما يكفي لمن رضي بالله ربا وبمحمد عليه الســلام نبيا، فقد وصف نبي هذه الأمة واجها بقوله: طاعة الله وطاعة رسوله خير لك.

أمــا الجميل والمدهش في هــذا الدين النظيف من الجاهلية، فهو أن أســامة لم يكن ضمن قائمة الخطاب، وأن أســامة أيضاً لم يكن ضمن من تحلم بهم، أو حتى من ترضى بهم.

هي بنفســها تعترف بذلك.. فاطمة رضــي الله عنها تقول:«لما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني.

فقال رســول الله ﷺ: أما جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له. انكحي أسامة بن زيد. قالت: فكرهته.

---

(١) صحيح مسلم ٢-١١١٩ والزيادة لمسلم ٢-١١١٥.

(٢) صحيح مسلم ٢-١١١٩.

ثم قال: انكحي أسامة بن زيد. فنكحته فجعل الله تعالى فيه خيراً كثيرا واغتبطت به»[1]

بإمكانهـا أن ترفض ولا تثريب عليها، فهي حرة في انتقاء شـريك حياتها، لكنها لم ترفض بداعي العصبية، فقبل أسامة تزوج والده من زينب بنت جحش، وقبله تزوج بـلال من أخت عبد الرحمن بن عوف وغيرهـم، وغيرهم.. في حياة النبي وبحضوره وبمباركته.. أما من يلبسون كبرهم عباءة الإسلام، فلا يكتفون بحقهم في الرفض، بل يتجاوزونه إلى تزوير الإسلام نفسه.

سـعد أسـامة بفاطمة، ولكن قبل حفل الزفاف وأثناء فترة العدة سمعت فاطمة أشياء خطيرة حملها وافد قدم على النبي ﷺ..

هـذا الوافد المحمل بالأخبار وغرائب الأسـفار التـي لا يصدقها أحد لولا إقرار النبي ﷺ له، وقد كان في قدوم هذا المسـافر نسـفاً لشـكوك تدور في أذهان بعض الصحابة حول رجل مخيف وغريب وغامض.. كان بعض الصحابة يعتقد أن هذا الرجل هو المسـيح الدجال الذي حذر النبي ﷺ أمته منه.. ذلك الدجال اليهودي الذي أخبر عنه الأنبياء وحذروا منه أممهم.. ذلك الدجال الذي سيعيث يوماً من الأيام فساداً في الأرض، وسـيخوض حروباً طاحنة ضد المؤمنين، وهو يقود يهود العالم للسيطرة على الأرض محـاولاً إقامة دولة لليهود.. الشـبهات اليوم تدور حول رجل من اليهود يعيش في المدينة، ويعتقد البعض أنه الدجال. أما النبي ﷺ فلم ينزل عليه شـيء حول هذا الرجل، لكنه كان حريصاً على اكتشاف أمره وكشف حقيقته.

دعونا نتجول في شوارع المدينة وبين نخيلها لنتعرف إلى هذا الرجل المخيف، الذي يشك بعض المؤمنين أنه المسيح الدجال تعالوا نتعرف على:

ابن صياد وهل هو المسيح الدجال

كان في المدينة رجل يهودي مخيف الشكل.. مريب الحركات والأصوات والتصرفات، وقد شـك الرسول ﷺ وبعض الصحابة أنه المسـيح الدجال وكان يدعى (ابن صياد).

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود ١-٦٩٥.

فعندمـــا كان ذلك اليهودي طفلاً يلعب مع الصبيـــان قرب حصن أناس يقال لهم (بني مغالة) حدث شيء غريب يرويه عبد الله بن عمر فيقول: « إن عمر بن الخطاب انطلق مع رســـول الله ﷺ في رهط قِبَلَ ابن صياد، حتـــى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بن مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم. فلم يشـــعر حتى ضرب رســـول الله ﷺ ظهره بيده.

ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد: أتشهد أني رسول الله؟

فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين. فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله.

فرفضه رسول الله ﷺ وقال: آمنت بالله وبرسله.

ثم قال له رسول الله ﷺ: ماذا ترى؟ قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب.

فقال له رســـول اللـــه ﷺ: خلط عليك الأمر، ثم قال له رســـول الله ﷺ: إني قد خبأت لك خبيئاً. قال ابن صياد: هو الدخ؟

فقال له رسول الله ﷺ: اخسأ، فلن تعدو قدرك.

فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه.

فقال له رسول الله ﷺ: إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله»[1]

فـــي هذا الحوار بين النبـــي ﷺ وابن صياد.. اتضح تعاطي ابـــن صياد لنوع من السحر والكهانة، وذلك عندما قال: (الدخ) ويعني بذلك سورة الدخان التي نزلت على النبي ﷺ، لكنه قال الدخ فقط، لأن النبي عليه السلام قاطعه فوراً قبل أن يكمل اسم السورة وقال له: اخسأ.

أما عن تلك الأشـــياء التي يراها ابن صياد فيقول «جابر بن عبد الله: إن رســـول اللـــه ﷺ لقي ابن صياد ومعه أبو بكر وعمر أو قال رجلان، فقال له رســـول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟

---

(١) صحيح مسلم ٤-٢٢٤٤.

فقال ابن صياد أتشـــهد أني رســـول الله ﷺ؟ فقال رســـول الله ﷺ: آمنت بالله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: ما ترى؟

فقال ابن صياد: أرى عرشاً على الماء.

فقال له رسول الله ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر.

ما ترى؟ قال: أرى صادقين أو كاذبين.

فقال رسول الله ﷺ لبس عليه فدعوه»[1]

وقد وصل الشك ببعض الصحابة إلى درجة اليقين أنه الدجال، ومنهم جابر رضي اللـــه عنه، حيث يقول أحد أصحاب جابر: «رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صائد الدجال.

فقلت: أتحلف بالله؟ قال: إني ســـمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ، فلم ينكره النبي ﷺ»[2] وذلك للشبه الكبير بين الاثنين: الدجال وابن صياد، ولتصرفات ابن صياد المريبة، وما يصدر عنه من أفعال لا تصدر عن إنسان طبيعي أبداً.

كان يتعاطى الســـحر والشـــعوذة، ويتعامل مع شـــياطين الجن، ولا أدل على ذلك من هذه القصة التي حدثت أمام عيني ابن عمر في ســـكة ضيقة، وذلك عندما «لقي ابـــن عمر ابـــن صائد في بعض طرق المدينة، فقال له قـــولاً أغضبه: فانتفخ حتى ملأ السكة[3].. فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها ما رآه من فقالت له: رحمك الله ما أردت من ابن صائد أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: إنما يخرج من غضبة»[4]

ويقـــول «ابن عمر لقيته مرتـــين، فلقيته فقلت لبعضهم: هل تحدثون أنه هو؟ قال: لا والله.

---

(١) سنده صحيح رواه ابن أبي شيبة ٧-٤٩٥ حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر. أبو نضرة تابعي ثقة . وتلميذه سليمان بن طرخان تابعي مشهور وهو ثقة من رجال الشيخين، وتلميذه ثقة معروف مر معنا كثيراً.

(٢) صحيح مسلم ٤-٢٢٤٣ عن محمد بن المنكدر قال رأيت..

(٣) الطريق الضيقة جداً.

(٤) صحيح مسلم ٤-٢٢٤٦.

قلــت: كذبتني، والله لقــد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتــى يكون أكثركم مالاً وولداً، فكذلك هو زعموا اليوم.

فتحدثنا، ثم فارقته، فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه، فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري.

قلت: لا تدري وهي في رأســك؟ قال: إن شــاء الله خلقها في عصاك هذه. فنخر كأشد نخير حمار سمعت.

فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكســرت، وأما أنا فوالله ما شعرت، وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها، فقالت ما تريد إليه: ألم تعلم أنه قد قال: إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه؟»[1]

وقد حاول النبي ﷺ -بعد أن سمع كلامه وهو يلعب مع الصبيان- التسلل ليسمع زمزمته، والأصوات الغريبة الصادرة عنه.. عله يكتشف هويته، لكن ذلك لم يتم.

يقــول ابن عمر: «انطلق بعد ذلك رســول الله ﷺ وأبي بــن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد، وهو يختل أن يســمع من ابن صياد شــيئاً قبل أن يراه ابن صياد. فرآه النبــي ﷺ وهو مضطجع يعنــي في قطيفة له فيها رمزة، أو زمرة، فرأت أم ابن صياد رســول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف -وهو اســم ابن صياد- هذا محمد.

فثار ابن صياد فقال النبي ﷺ: لو تركته بين»[2] واتضح أمره. كل تلك الأمور كانت قبــل أن يأتي تميــم الداري رضي الله عنه إلى المدينة ويســلم، ويقص على النبي ﷺ قصته العجيبة المخيفة:

قصة الدجال الحقيقي والجساسة

هــذه القصة ترويها تلك الصحابيــة الجليلة التي اختار لها ﷺ أســامة بن زيد (فاطمة بنت قيس) وكانت من المهاجرات الأول فتقول: «خطبني رســول الله ﷺ على

---

(١) صحيح مسلم ٤-٢٢٤٦.

(٢) صحيح البخاري ١-٤٥٤.

مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حدثت أن رسول الله ﷺ قال: من أحبني فليحب أسامة.

فلما كلمني رسول الله ﷺ قلت: أمري بيدك فأنكحني من شئت.

فقال: انتقلي إلى أم شريك، وأم شريك امرأة غنية من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله، ينزل عليها الضيفان. فقلت: سأفعل. فقال: لا تفعلي، إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان، فإني أكره أن يسقط عنك خمارك، أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبدالله ابن عمرو بن أم مكتوم.

فانتقلت إليه فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة!

فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك. فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه. ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال. حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك ما أنت؟

فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق.

قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا

البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها. فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نخل بيسان؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زغر؟ قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتَله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه.

قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني: إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما. كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته[1] في المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة. يعني المدينة. ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟

فقال الناس: نعم، فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا أنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو. وأومأ بيده إلى المشرق.

---

(١) بعصاه.

قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ»[1]

وقد حث النبي ﷺ أصحابه وأمته على الاستعاذة من هذا اليهودي الدجال، بل كان يستعيذ منه كل صلاة، حيث تقول عائشة زوج النبي ﷺ: « إن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم. فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم.

فقال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف»[2]

إذاً فالدجال مأسور في تلك الجزيرة، أما ابن صياد فهو شخص آخر يحاول استغلال الشبه بينه وبين الدجال، لإخافة من حوله وبث الرعب فيهم، محاولاً إشباع غروره، مع أنه من المحتمل أن يكون بينه وبين الدجال صلة ما، لكن ما هي؟ الله أعلم..

تبين ذلك في حوار جرى بين ابن صياد وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهما في سفر متجهين نحو مكة، حيث بث ابن صياد شكواه وبعض أسراره لأبي سعيد، وبث فيها مرارة كذبه وانتحاله لتلك الشخصية، ونتائج تلك الأشياء التي ارتكبها من أجل لفت الأنظار إليه.

قال أبو سعيد: «أقلنا في جيش من المدينة قبل هذا المشرق، فكان في الجيش عبد الله بن صياد، وكان لا يسايره أحد ولا يرافقه ولا يؤاكله ولا يشاربه، ويسمونه الدجال. فبينا أنا ذات يوم نازل في منزل لي إذ رآني عبد الله بن صياد جالساً، فجاء حتى جلس إلي، فقال: يا أبا سعيد.. ألا ترى إلى ما يصنع الناس.. لا يسايرني أحد، ولا يرافقني أحد، ولا يشاربني أحد، ولا يؤاكلني أحد، ويدعوني الدجال؟ وقد علمت أنت يا أبا سعيد أن رسول الله ﷺ قال: إن الدجال لا يدخل المدينة، وأني ولدت بالمدينة!

وقد سمعت رسول الله ﷺ: يقول إن الدجال لا يولد له. وقد ولد لي. فوالله لقد هممت مما يصنع بي هؤلاء الناس أن آخذ حبلاً، فأخلو فأجعله في عنقي، فأختنق

---

(١) صحيح مسلم ٤-٢٢٦٣.

(٢) صحيح البخاري ١-٢٨٦.

فأستريح من هؤلاء الناس، والله ما أنا بالدجال. ولكن والله لو شئت لأخبرتك باسمه، واسم أبيه، واسم أمه، واسم القرية التي يخرج منها»[1]

تلك هي قصة ابن صياد الدجال. لكن ذلك الدجال المنتظر، ليس هو الدجال الوحيد الذي سيظهر في أمة محمد عليه الصلاة والسلام. لقد حذر عليه السلام من ثلاثين دجالاً سيظهرون قبله، لكنه أشدهم خطراً على هذه الأمة، أما أسرعهم ظهوراً فكانا كذابين.. أحدهم وصل الآن ضمن:

وفد اليمامة

لبيعة النبي ﷺ، وكان يدعى مسيلمة. وقد رأى عليه السلام رؤيا قصها على أصحابه «قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم أتيت خزائن الأرض، فوضع في يدي إسوارين من ذهب، فكبرا علي وأهماني، فأوحى إلي: أن انفخهما.

فنفختهما فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة»[2]

ولما وصل وفد اليمامة «قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته.

وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه. فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني.

ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: إنك أرى الذي أريت فيه ما رأيت، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٣-٧٩ ثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد أبو نضرة تابعي ثقة وعوف بن أبي جميلة وغندر ثقتان: التقريب٥٤٦ و٤٣٣ و٤٧٢

(٢) صحيح مسلم ٤-١٧٨١.

ذهب، فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام: أن انفخهما. فنفختهما فطارا. فأولتهما كذابين يخرجان بعدي. أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة»[1] الكذاب الذي يعود خائباً محتقناً من الغيظ إلى بلاده، بعد أن حوله النبي ﷺ إلى حاوية للسخرية بين الوفود، هذا الأفاك الذي لا يعي ما يخرج من رأسه.. يريد أن يكون نبياً!!

يريد كما يريد تلاميذه من بعده أن يستبدلوا شريعة الله بثرثرتهم وتخاريفهم.. إنهم لا يقدمون بدائل صناعية، أو زراعية، أو حتى عسكرية.. فيها من الإبداع ما يقد يشفع لهم، لكنهم أعجز من ذلك. إنهم لا يملكون سوى الوهم فقط.. لا أكثر.

لذلك رفض النبي ﷺ تقديم أي تنازل لأستاذهم مسيلمة، حتى ولو كان مجرد قطعة من جريد النخل، لا تنفع ولا تضر، ولا تقدم ولا تؤخر. أما:

كذاب اليمن الأسود العنسي

فقد كان يضمر في نفسه الخروج على النبي ﷺ في أقرب فرصة، أما الآن فهو لا يستطيع الجهر بما في نفسه.. خوفاً من علي بن أبي طالب الأسد الهصور.. القادم من المدينة إلى اليمن، ولم يكن الأسود وحده الذي سيدعي النبوة، فقد قال أحد الصحابة: «أكثر الناس في مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئاً، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: أما بعد ففي شأن هذا الدجال الذي قد أكثرتم فيه، وإنه كذاب من ثلاثين كذاباً يخرجون بين يدي المسيح»[2]

أولهم مسيلمة الذي عاد إلى دياره، ثم أفرز ما كان محتقناً به من أكاذيب، وأعلن أنه نبي جديد لهذه الأمة، ولم يكتف بذلك، بلغت به الوقاحة أن يبعث إلى النبي ﷺ برسولين يخبرانه بما فعل.

يقول الصحابي نعيم بن مسعود: «سمعت رسول الله ﷺ يقول حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب بكتابه، ورسول الله ﷺ يقول لهما: وأنتما تقولان بمثل ما يقول؟

---

(١) صحيح البخاري ٤-١٥٩٠.

(٢) سنده صحيح رواه معمر بن راشد في الجامع ١١-٣٩٢ عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن طلحة بن عبيد الله بن عوف عن أبي بكرة قال وهذا السند صحيح. الزهري وشيخه طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري تابعيان ثقتان تهذيب التهذيب ٥-١٨.

قالا: نعم، فقال رسول الله ﷺ، لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»[1] فاحترام الرسل مبدأ إسلامي رفيع.. زاد من رصيد الاحترام للدولة الإسلامية وقائدها، إلا أن الجاهلية أعمت الكثيرين عن رؤية الحقيقة، هذا أحدهم يعترف بذلك:

أبو رجاء العطاردي يعترف

يقول رضي الله عنه: (كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه، ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب قلنا: منصل الأسنة. فلا ندع رمحاً فيه حديدة، ولا سهماً فيه حديدة إلا نزعناه وألقيناه شهر رجب....

كنت يوم بعث النبي ﷺ غلاماً أرعى الإبل على أهلي، فلما سمعنا بخروجه فررنا إلى النار، إلى مسيلمة الكذاب)[2]

وإذا كان مسيلمة قد تميز بالوقاحة والكذب، فإن الحقيقة التي جاء بها الإسلام كفيلة بإحراقه وإحراق من صدقه، واحداً واحداً.. الحقيقة التي لا يصمد أمامها أي منتحل، أو معاند لها.

وكان من بين الوفود القادمة رجل من النصارى.. يدعى (عدي بن حاتم الطائي) هذا الرجل الذي هرب من بلاده خوفاً من جيش الإسلام، وتوجه نحو الشام.. نحو الكنائس، لكن تلك الكنائس زادته غربةً، فعاد إلى رشده، وطرح على نفسه أسئلة.. تغنيه عن الهرب لو طرحها في وقت أبكر.

أسئلة محرجة أخجلته، خاصة وهو ابن رمز الكرم العربي في الجاهلية.

---

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم ٣-٥٤: حدثني سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم بن مسعود عن أبيه قال.. وسعد بن طارق تابعي ثقة من رجال مسلم (أبو مالك الأشجعي) تابعي ثقة، انظر التقريب ١-٢٨٧ وشيخه صحابي.

(٢) صحيح البخاري ٤-١٥٩١.

قدوم عدي بن حاتم

دعونا نستمع إلى عدي وهو يقص حكايته، وحكاية هروبه وعودته للحق، فيقول: «بعث رسول الله ﷺ حيث بعث، فكرهته أشد ما كرهت شيئاً قط، فانطلقت حتى كنت في أقصى الأرض مما يلي الروم، فقلت: لو أتيت هذا الرجل، فإن كان كاذباً لم يخف علي، وإن كان صادقاً اتبعته.

فأقبلت، فلما قدمت المدينة استشرف لي الناس، وقالوا: جاء عدي بن حاتم.. جاء عدي بن حاتم. فقال النبي ﷺ لي: يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم. قلت: إن لي ديناً. قال: أنا أعلم بدينك منك.. أنا أعلم بدينك منك... مرتين أو ثلاثاً. ألست ترأس قومك؟ قلت: بلى. قال: ألست تأكل المرباع[1]؟ قلت: بلى.

قال: فإن ذلك لا يحل لك في دينك.

قال عدي: فتضعضعتُ[2] لذلك، ثم قال: يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم، فإني قد أظن أنه ما يمنعك أن تسلم خصاصة تراها من حولي، وتوشك الظعينة أن ترحل من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالبيت، ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز، وليفيضن المال حتى يهم الرجل من يقبل منه ماله صدقة.[3]

قال عدي بن حاتم: فقد رأيت الظعينة ترحل من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالبيت، وكنتُ في أول خيل أغارت على المدائن، على كنوز كسرى بن هرمز، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة. إنه لقول رسول الله ﷺ لي»[4]

هكذا حولت الحقيقة هذا الرجل النصراني المتشائم.. المغتصب حق غيره إلى ثقة بالله ورسوله، فبعد أن كان مزيجاً من الشكوك والتساؤل المحير.. أصبح يحلف ثقة،

---

(١) أي أنه كان يغتصب من قومه ربع أرباحهم وغنائمهم دون حق.

(٢) ضعفت.

(٣) أي إن الرجل لا يجد من يأخذ الصدقة منه.

(٤) سنده قوي رواه الحاكم ٤-٥٦٤ من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين وابن أبي شيبة ٧-٣٤٢ من جرير بن حازم عن محمد بن سيرين ابن حبان ١٥-٧١ من طريق أيوب عن محمد عن أبي عبيدة بن حذيفة سمعه من عدي. أبو حذيفة ثقة روى عنه محمد بن سيرين ويوسف بن ميمون وخالد بن أبي أمية الكوفي وحصين بن عبد الرحمن السلمي وغيرهم. تهذيب التهذيب ١٢-١٧٧ ووثقه العجلي توثيقاً لفظياً فقال في: معرفة الثقات ٢-٤١٣ أبو عبيدة بن حذيفة كوفي تابعي ثقة وابن سيرين غني عن التعريف.

ويتحـــرك ثقـــة، ويعد من حوله ثقة، فإذا لم يثق بالحقيقـــة المحمدية فبم تكون ثقته؟! لاســـيما وقد اعتنق النصرانية كخلاص مـــن الوثنية، ولم يرثها عن والديه وراثة، فمن الصعوبـــة التخلص من الموروث، حتى ولو كان غير مقنـــع، ولعل في هذا الوفد القادم من نجران:

وفد نصارى نجران

دليل على صعوبـــة التخلص من الموروث، حيث جاءوا من بلادهم بعد أن وصلتهم بعوث الإســـلام، وأخبار انتصاراته. وكانوا في بلادهم يحاولون إحراج هؤلاء المسلمين بالتنقيـــب عن أي خطأ في تعاليم هذا الدين الجديـــد، وقد حدث هذا مع الصحابي الداهية المغيرة بن شـــعبة، الذي كل دهاؤه عن إجابة تســـاؤلهم، فقال رضي الله عنه: «لما قدمت نجران ســـألوني فقالوا: إنكم تقرؤون (يا أخت هارون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟

فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»[1]

ولعل تلك التساؤلات خلقت لدى هؤلاء شعوراً بالتفوق والجرأة، فبحثوا عن مزيد من الإحـــراج، فأحبوا أن يفجروه علـــى أرض المدينة معقل الإســـلام وعاصمته، وقد تصـــدى لهذا رجـــلان من رجال الدين، حيـــث إن الدين النصراني يقســـم الناس إلى طبقتين لا وجود لهما في الدين الإسلامي إطلاقاً.. هاتان الطبقتان هما: طبقة رجال الدين، وطبقة أخرى لبقية الرجال.

أما النساء فلا دور لهن ولا طبقات.

وكان اســـم رجلي الدين هذين: (العاقب) و(الســـيد) وقد بلغـــت بهما الجرأة أن يطالبا النبي ﷺ بالملاعنة على الحقيقة، والملاعنة هي (المباهلة) وهي أن يدعو كل من الخصمين على نفسه باللعنة إن كان كاذباً في دعواه.

---

(١) صحيح مسلم ٣-١٦٨٥.

كانت نتيجة المباهلة اكتشـــاف هذه الأمـــة لأمينها، في قصة يرويها لنا حذيفة بن اليمان أمين سر النبي ﷺ الذي يقول: «جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول اللـــه ﷺ، يريدان أن يلاعنـــاه. فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعـــل، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معناً إلا أميناً.

فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشـــرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة»[1] الذي فاز بلقب كما فاز غيره بألقاب، أما نصارى نجران فعادوا مثقلين بالشك والجزية والهزيمة.. الهزيمة التي لحقت بكل من أعمى قلبه عن رؤية الشمس التي يحملها ﷺ خارج المدينة وداخلها.

أما داخـــل المدينة فأقدام الوفود تطحن في ذهابها وإيابها رجلاً كالحجارة عناداً وحسداً، وأيديهم المبايعة الممتدة تخنق أنفاسه.. عبد الله بن أبي بن سلول يتجرع اليوم سموماً كثيرة، ويتلقى طعنات لا تعد ولا تحصى.. لم يصنعها أحد له.. هو الذي صنعها بحقده وعناده، وهو من يطعن ويخنق نفسه بها.

عبد الله بن سلول مريض

ويبدو من تقاسيمه وهزاله أنه راحل عن هذه الدنيا، ورغم كل ما فعله وما خطط له، وما جرى منه ضد النبي ﷺ، وضد المسلمين ودولتهم.. رغم ذلك كله ينهض النبي ﷺ لزيارته، علّه يجد في قلبه مكاناً لله ولرســـوله. عبد الله بن أبي بن ســـلول تاريخ أسود من التآمر والخيانة والنفاق، ومع ذلك فلا يأس في حياة الداعية. اســـتأذن النبي ﷺ في الدخول عليه، ولما دخل عرف فيه الموت. «دخل رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي يعوده في مرضه الذي مات فيه. فلما عرف فيه الموت، قال رسول الله ﷺ: أما والله إن كنت لأنهاك عن حب يهود.

فقال: أبغضهم أسعد بن زرارة فمه»[2] أي فماذا أفاد أسعد بن زرارة كرهه لليهود، حيث مات أسعد في أول أيام الهجرة.

---

(١) صحيح البخاري ٤-١٥٩٢.

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه أبو داود ٣-١٨٤ حدثني الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد. الزهري تابعي ثقة رأس طبقته وعروة تابعي كبير وإمام ثقة معروف.

هذه الإجابة تكشف عن ضيق أفق هذا المنافق، ونظرته المحدودة بين جدران الدنيا فقط، فالنبي ﷺ لم يكن يعني أن حب اليهود هو الذي يجلب لك الموت، فاليهود قد غادروا غير مأسوف عليهم، بل كان يعني أنني كنت أنهاك عن موالاتهم، التي لا تفيدك في مثل هذه الساعة التي تكون فيها أحوج ما تكون لله ولرسوله، وللحقيقة - الإسلام، لكنه الحسد والحقد الذي يتفنن في إحراق أصحابه.

كان ابن سلول مغروراً متكبراً حتى في أيام احتضاره.. لم يقل للنبي عليه السلام أي كلمة تشير إلى أسفه وندمه أو توبته، ولكن بعد أن خرج النبي ﷺ من عنده استدعى ابنه، وطلب منه أمراً غريباً.

ابن سلول يطلب ثوب النبي ﷺ

فبعد خروجه عليه السلام استدعى عبد الله بن سلول ابنه، وقال له: «أي بني، اطلب ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ، فكفني فيه ومره فليُصلّ عليّ»[1]

ويبدو أن الابن شعر بالإحراج، أو نسي ذلك حتى وضع أبوه في قبره، فتوجه نحو النبي ﷺ: «فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له»[2]

يقول جابر بن عبد الله: «أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي بعد ما دفن، فأخرجه فنفث فيه من ريقه وألبسه قميصه»[3]

وعندما أراد ﷺ الصلاة على ابن أبي سلول وقف عمر بن الخطاب في وجهه، بل جذبه من ثوبه معترضاً على الصلاة عليه.

شاهد عبد الله بن عمر ما حدث فقال: «إن عبد الله بن أبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له.

---

(١) سنده صحيح رواه الطبراني في الكبير ١١-٤٣٨ والأوسط ٦-١٦ من طرق عن بشر بن السري قال نا رباح بن أبي معروف المكي عن سالم بن عجلان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ابن عبد الله بن أبي قال له أبوه: سعيد بن جبير من أئمة التابعين الثقات وسالم بن عجلان الأفطس ثقة من رجال البخاري: التقريب ١-٢٨١ ورباح حسن الحديث من رجال مسلم ١-٢٤٢ وبشر بن السري ثقة متقن: التقريب ١-٩٩.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري ١-٤٢٧.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري ١-٤٢٧.

فأعطـــاه النبي ﷺ قميصه، فقال: آذني أصلي عليـــه فآذنه. فلما أراد أن يصلي عليـــه جذبه عمر رضي الله عنه فقال: أليس نهاك أن تصلي على المنافقين. فقال: أنا بين خيرتين.. قال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم. فصلى عليه.. فنزلت ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾»[1] والآية التي نهت عـــن الصلاة المنافقين بعد اليوم هي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[2].

شـــاهد جابر ما حدث فقال مفسراً ما حدث حول قميص النبي ﷺ: «لما كان يوم بدر أتى بأسارى وأتى بالعباس، ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه»[3] مكافأة له.

هذه هي وجهة نظر جابر رضي الله عنه، فربما لم تبلغه قصة طلب ابن أبي سلول.

لكن هناك ســـؤالاً يطرح نفســـه على الصحابة هو: أنهم ســـيتمكنون من معرفة المنافقين بعدم صلاة النبي ﷺ عليهم عند وفاتهم، لكن كيف ســـيعرفون المنافقين بعد وفاة النبي ﷺ؟

لم يغب ذلك عن النبي ﷺ، فقد قام ﷺ باستدعاء أحد الصحابة ليقدم له:

قائمة بأسماء المنافقين

يقـــول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كنت آخذاً بخطام ناقة رســـول الله ﷺ أقود به، وعمار يسوق الناقة، أو أنا أسوقه وعمار يقوده، حتى إذا كنا بالعقبة، فإذا أنا باثني عشـــر راكباً قد اعترضوه فيها، فانبهت رســـول الله ﷺ بهم، فصرخ بهم، فولوا مدبرين. فقال لنا رســـول الله ﷺ: هل عرفتم القوم؟ قلنا: لا يا رســـول الله، قد كانوا متلثمين، ولكنا قد عرفنا الركاب.

---

(١) صحيح البخاري ١-٤٢٧.

(٢) سورة التوبة: ٨٤.

(٣) صحيح البخاري ٣-١٠٩٥.

قـــال: هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا؟ قلنا لا. قال: أرادوا أن يزاحموا رسول الله ﷺ في العقبة، فيلقوه منها. قلنا: يا رسول الله، أفلا نبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟

قـــال: لا، أكره أن تتحدث العرب بينها، أن محمداً قاتل بقوم، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم.

ثم قال: اللهم أرمهم بالدبيلة»[1]

ولما ســـئل عمار حول قيام النبي ﷺ بتقديم توصية خاصة له قال: (ما عهد إلينا رســـول الله ﷺ شـــيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة)[2] وهي دمل أو خراج يسبب الموت.

وبذلك التحديد لأســـماء هؤلاء المنافقين تم عزلهـــم وإقصاء رواياتهم وأخبارهم، بـــل لقد تحولوا إلى رمـــاد تذروه رياح التاريخ، بعد أن نجح الشـــيطان في إنزالهم من مقاعدهـــم الرفيعـــة، التي منحهم إياها الإســـلام، فرضوا بالدرك الأســـفل من النار التي يقـــول الله تعالى عنهـــا: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا

---

(١) حديث صحيح رواه البيهقي في دلائل النبوة من حديث محمد بن إسحاق عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة: تفسير ابن كثير ٢-٣٧٣ ولم يصرح ابن إسحاق بالسماع وله شاهد عند أحمد ٥-٤٥٣ حدثنا يزيد أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل وهو سند ثلاثي حسن وشاهد عن عروة مرسلاً.

(٢) صحيح مسلم ٤- ٢١٤٣.

﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾[1].

وهناك من تـــاب من المنافقين قبل هؤلاء، بعد أن زالت عنهم العصبية، وتبين لهم خواء ابن سلول وخواء أفكاره. لكن تلك الأسماء التي تلقاها حذيفة ظلت على عنادها حتى انتزعها الموت كما انتزع ابن سلول، والذي برحيله انكسرت شوكة النفاق والخيانة والتآمر. أما النبي ﷺ وأصحابه فيتمنون لو آمن ابن سلول ومن معه، فرسالته في هذه الدنيـــا موجهة إلى بقع الظلام وبؤره، لملئهـــا بنور التوحيد.. طهرت المدينة من قيادات اليهـــود والمنافقين المشـــركين، ومرت الأيام فعاد الموت مـــرة أخرى إلى بيت النبي ﷺ، وكأنه يزاحم كل خبر سار يبتهج به النبي عليه السلام..

ذات يوم ألم المرض بإبراهيم بن محمد ﷺ، ثم انتزعه الموت فكانت دموع النبي ﷺ وحزنه تسيل لـ:

موت إبراهيم عليه السلام

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه عن حياة إبراهيم وموته: «قال رسول الله ﷺ: ولد لي الليلة غلام، فســميته باســم أبي إبراهيم، ثم دفعه إلى (أم ســيف) امرأة قين يقال له (أبو ســيف) فانطلق يأتيه واتبعته، فانتهينا إلى أبي ســيف وهو ينفخ بكيره.. قد امتلأ البيت دخاناً، فأســرعت المشي بين يدي رســول الله ﷺ فقلت: يا أبا سيف أمسك، جاء رسول الله ﷺ.

فأمسك فدعا النبي ﷺ بالصبي، فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول.

فقـــال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفســـه بين يدي رســـول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا

---

(١) النساء: ١٣٨-١٤٦.

إبراهيم إنا بك لمحزونون»[1] وقد أثارت تلك الدموع وذلك الحزن التساؤل لدى بعض الصحابة حيث «قال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟

فقال: يابن عوف، إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[2]

وفي هذا اليوم نفسه الذي توفي فيه إبراهيم عليه السلام نظر الناس إلى السماء فوجدوا أن:

الشمس قد كسفت يوم موت إبراهيم

وكان هناك اعتقاد سائد في الجاهلية، أن كسوف الشمس لا يكون إلا لموت إنسان عظيم، أو لمولد عظيم. فما موقف النبي ﷺ من هذا الاعتقاد الجاهلي.. لاسيما وقد صادف يوم رحيل ابنه الحبيب (إبراهيم)؟

يقول «المغيرة بن شعبة: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم.

فقال رسول الله ﷺ: إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله»[3] ثم أمر الناس بالاجتماع في المسجد حيث يقول «عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: لما كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ نودي: إن الصلاة جامعة»[4] ويقول أبو بكر: «كنا عند رسول الله ﷺ فانكسفت الشمس، فقام النبي ﷺ يجر رداءه حتى دخل المسجد، فدخلنا فصلى بنا ركعتين حتى انجلت الشمس، فقال ﷺ: إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموهما فصلوا وادعوا حتى يكشف ما بكم»[5]

كانت صلاة الكسوف ركعتين لكن كيف كانت:

---

(١) صحيح مسلم ٤-١٨٠٧.
(٢) صحيح البخاري ١-٤٣٩.
(٣) صحيح البخاري ١-٣٥٤.
(٤) صحيح البخاري ١-٣٥٤.
(٥) صحيح البخاري ١-٣٥٣.